من تراث الكوثرى

السَّيْفُ الصَّقِيلُ

فى الرد على ابن زفيل

للإمام الحجة أبى الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى
السبكى الكبير
المولود سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٤م
المتوفى سنة ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م

يرد به على نونية ابن القيم
ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم
محمد زاهد بن الحسن الكوثرى
عفى عنهما

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
☎ ٥١٢٠٨٤٧

والقــوم مــا صــانـوه عن بئـر ولا ... قــبـــر ولا حش ولا أعطـان
وعليــهم رد الأئمــة أحــمــد ... وصــحــابه من كل ذى عــرفــان
فـهم الخـصـوم لكل صـاحب سنة ... وهم الخـصــوم لمنزل القــرآن

هؤلاء أيضا ليس علينا منهم.

فصل

ثم قال:

«وأتى فـريق[1] ثم قـارب وصـفـه ... هذا ولكن جـد فـى الكـفـران
فــأســر قــول مــعطل ومكذب ... فى قــالب التنزيـه للرحــمن
إذ قــال ليس بداخل فــينا ولا ... هو خــارج عن جــملة الأكــوان
بل قــال ليس ببـائن عنهــا ولا ... فــيهـا ولا هو عــينهـا ببــيان
كــلا ولا فــوق السـموات العلى ... والعــرش من رب ولا رحــمان
والعـرش ليس عليه مـعبود سوى ... العــدم الذى لا شىء فى الأعــيان
بـل حظـه من ربـه حـظ الثـرى ... منـه وحظ قـواعـد البنيــان
لو كـان فوق العـرش كان كهـذه الـ ... أجسـام سبحـان العظيم الشـان»

يعنى أن هذا من قولهم، ثم قال:

«ولقـد وجـدت لفـاضل منهم مقـا ... مًـا قـامـه فى النـاس منذ زمـان»

فى قوله ﷺ: «لا تفضلونى على يونس» قد كان يونس فى قرار البحر ومحمد صعد السماء وجاوز السبع الطباق، وكلاهما فى قربه من ربه سبحانه إذ ذاك مستويان.

---

(١) وهم أهل السنة خصوم كل مجسم وزائغ، وهم يقولون إنه لا يقال إن الله فى داخل العالم، كما لا يقال إنه فى خارج العالم، ولا إنه مستقر على العرش لأن ذلك لم يرد فى الكتاب ولا السنة، ولأن ذلك شأن الأجسام، ومن جوز في معبوده الدخول والخروج والاستقرار فهو عابد وثن، ويؤيدهم البراهين والآيات الواردة فى التنزيه. وليس للمشبهة شبه شبهة فى ذلك كما سيأتى رغم أنف هذا الناظم الزائغ.

فـاحـمـد إلهك أيهـا السنى إذ عـافـاك من تحريف ذى بهتـان
والله مـا يـرضى بهـذا خـائف من ربه أمـسـى عـلى الإيمان
هذا هـو الإلحـاد حـقـا بل هو التحريف محضًا أبرد الهذيان
والله مـا بلى المجسم قط ذى الـ بلوى ولا أمسى بذى الخذلان
أمثـال ذا التـأويل أفسد هذه الـ أديان حين سرى إلى الأديان

والفاضل الذى أشار إليه(١) . . . وتفسيره للحديث المذكور بما قاله صحيح، وقد سبقه إليه إمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين فى الحديث، عالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس حكى ذلك الفقيه الإمام العلامة قاضى قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير المالكى(٢) الفقيه المفسر النحوى الأصولى الخطيب الأديب البارع فى علوم كثيرة فى كتابه (المقتفى فى شرف المصطفى) لما تكلم على الجهة وقرر نفيها، قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله فى قوله ﷺ: «لا تفضلونى على يونس بن متى» فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش، ويونس عليه السلام هبط إلى قابوس البحر، ونسبتهما مع ذلك من

(١) وهنا بياض فى أصل المؤلف والمراد بذلك الفاضل هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم ابن فرح القرطبى فى تذكرته رواية عن القاضى أبى بكر ابن العربى عن غير واحد من أصحاب إمام الحرمين عنه ما معناه: أن ذا حاجة حضر عنده وشكا من دين ركبه فأشار إليه بالمكث لعل الله يفرج عنه وفى أثناء ذلك حضر غنى يسأله عن الحجة فى تنزه الله سبحانه عن الجهة فقال إمام الحرمين: الأدلة على هذه كثيرة جداً، منها نهيه ﷺ عن تفضيله على يونس عليه السلام. فصعب فهم وجه دلالة ذلك على الحضور، فسأله السائل عن وجه الدلالة فقال إمام الحرمين: حتى تقضى حاجة هذا - مشيراً إلى صاحب الدين - فتولى قضاء دينه، ثم أجاب الإمام قائلاً: إن هذا الحديث يدل على أن النبى ﷺ وهو عند سدرة المنتهى لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت فى قعر البحر، فدل ذلك على أنه تعالى منزه عن الجهات. وإلا لما صح النهى عن التفضيل، فاستحسنه الحاضرون غاية الاستحسان ولفظ البخارى (لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس ابن متى) والمعنى واحد وذكره القاضى عياش فى الشفاء على لفظ المؤلف، ومن أطلق الكفر على إثبات الجهة فى غاية من الكثرة بين الأئمة، ومن الدليل على تنزه الله سبحانه عن الجهة حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» أخرجه النسائى وغيره.

(٢) صاحب «البحر الكبير فى نخب التفسير» الذى يقول عنه بعض المحققين إنه لم يؤلف فى التفسير مثله وهو من مفاخر المالكية فى القرن السابع بل من مفاخر علماء الإسلام طرا، ويوجد بدار الكتب المصرية جزء من هذا التفسير وكتابه المقتفى يتوسع فى بيان الإسراء.

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة! ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكانًا، ولما نهى عن ذلك. ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبدى أن الفضل بالمكانة لأن العرش فى الرفيق الأعلى، فهو أفضل من السفل، فالفضل بالمكانة لا بالمكان، فانظر أن مالكًا رضى الله عنه - وناهيك به - قد فسر الحديث بما قال هذا المتخلف النحس، إنه إلحاد، فهو الملحد عليه لعنة الله[1] ما أوقحه وما أكثر تجرأه؟! أخزاه الله.

فصل

الفوقية الحسية... إلخ

ثم قال:

«وأتى فريق ثم قارب وصفه هذا وزاد عليه فى الميزان
قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم هذى الأمانى هن شر أمانى

أتعبت راحلتى وفتشت، ما دلنى أحد عليه إلا طوائف بالحديث تمسكت تعزى مذاهبها إلى القرآن، قالوا: الذى تبغيه فوق عباده[2] فوق السماء وفوق كل مكان

---

(١) ترى المؤلف على ورعه البالغ يستنزل اللعنات على الناظم فى كثير من مواضع هذا الكتاب، وهو يستحق تلك اللعنات من حيث خروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازى، لكن الخاتمة مجهولة، فالأولى كف اللسان الآن عن اللعن. وأما استنزال المؤلف اللعنة عليه فكان فى حياة الناظم وهو يمضى على زيغه وإضلاله عامله الله بعدله.

(٢) والوارد فى القرآن الكريم ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] ومن الخرق أن يظن من قوله تعالى عن القبط ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ركوب القبط على أكتاف بنى إسرائيل مع إمكان ركوب جسم على جسم، وكيف يتصور ذلك فى الله تعالى المنزه عن الجسم ولوازم الجسمية واعتبار ذات الله فوق عباده فوقية مكانية إلحاد ليس من مدلول الآية فى شىء وكون ذاته جل جلاله فوق إحدى السماوات فوقية مكانية وفوق كل مكان فوقية مكانية مثل ما سبق فى الزيغ، وأين فى القرآن ما يوهم ذلك؟ على أن القول الأخير موافقة منه لمن يقول إن ذاته جل شأنه بكل مكان وكفى هذا تهاترًا، وإن كان يريد بالاستواء الاستقرار تبعًا لمقاتل بن سليمان شيخ المجسمة فقد استعجمت عليه الآية الكريمة وتباعد عن بلاغتها أيما تباعد وقد أوضحت ذلك فى (لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ) ونسبة الصعود إلى الأعراض والمعانى من الدليل فى أول نظر على أنه مجاز من القبول وماذا من نزول الملائكة من السموات وعروجهم إليها. وإليه تعالى قصد السائلين، لكن رفعهم الأيدى إلى السماء ليس فيه شىء من الدلالة على استقرار وجود ذاته فى السماء وإنما ذلك لمجرد أن السماء قبلة الدعاء ومنزل الأنوار=